نماذج من المعارضة الليبرالية في اسرائيل

حركة « المعارضة » في اسرائيل ، تستمر يوما بعد يوم في نشاطها ، وتلجا الى التعبير عن اتجاهاتها بوسائل مختلفة ، منها الصحافة والمنشورات السرية والتصريحات للصحف الاجنبية ، هذا ، الى جانب التعبير الاكثرفعالية وهو حركة الهجرة المضادة .

الظاهرة الملفتة هي ان بعض جوانب هذه المعارضةواوساطها مارستوسيلة معينة من التعبير وهي نشر « الكتب المفتوحة » الى المسؤولين الاسرائيليين ، والتي تحمل في طياتها اختلافا فـي الراي ، او خيبة امل ، او نصيحة او مناشدة .

بدا الان واضحا ، ان «المعارضة» الاسرائيلية، لم تصل حتى الان الى مستوى الرفض الثوري الى « تجريد اسرائيل منصهيونيتها » ، واكتفت في توجيهها ، الى الصدور عن منطق ليبرالي وهؤلاء يقفون عند حدود تصور مريض وعقيم ، وهو اندولة اسرائيل هي تطبيقمشوهللصهيونية. وهؤلاء الليبراليون ، يعلنون ان الحاجة قائمة الى « تنظيف » السياسة الاسرائيلية من خطا الطمع ، الذي يزيد في حجم اعداء اسرائيل ، ويجعل الحكام الاسرائيليين في نظر العرب « استعماريين » ، وبذلك تتفاقم حدة المقاومة وخطرها !

ان « قيمة » المعارضة الاسرائيلية ، تتحدد بالنسبة للمقاومة الفلسطينية ، في اكتسابها اطرا شمولية لمناهضتها السلطة الحاكمة . اي ان تصل الى حد الدعوة الى الغاء الكيان، وما يتبع ذلك من هجرة وتعاطف مع المقاومة. وليس منشك في انتضج المقاومة ، واتساعهاوتصاعدها ووصولها الى مرحلة حرب التحرير الشعبية ، سيوفر مناخا مناسبا لتلك المعارضة ، التييقبع بعض تياراتها في مواقع « اليسار » ، لكيتلتحق مفاهيم تلك المعارضة بمفاهيم المقاومة، التي تطرح صيغة دولة دمقراطية اشتراكية تنفي التعصب والصهيونية والفوارق الطبقية .

بسبب ذلك ، لا تدخل المعارضة الاسرائيلية في شكلها الراهن ، الان ، فيمنطقة رهان المقاومة ، وان كانت تشكل خطوطا في الخارطة السياسية الاسرائيلية ، التي لا بد للمقاومة ان تستوعبها وتوظفها لتصعيد الكفاح المسلح ، والعمل على ضرب العلاقة الوثيقة بين القاعدة والقمة في الكيان الاسرائيلي ، الصهيوني الامبريالي .

بين ايدينا الان نموذج من نماذج المعارضة ، وهو ينتمي الى جهة معارضة «التطبيقالخاطىء للصهيونية » في اسرائيل ، ويتخذ من اوضاع الفلسطينيين في المناطق المحتلة بعد حزيران- شاهدا على « حق معارضته » ، وحجة له في ابداء رايه .

ولا يفهم من هذا ، ان تلك « المعارضة » ترفض الاساليب العنصرية في معاملة الفلسطينيين فحسب ، ولكنها فوق ذلك تندد بالاحتلالذاته ، وتعتبره امرا غير مشروع الاستمرار به كمبدأ ، كما انها تعتبر ان استمرار الضم يشكل خطرا محتما على اسرائيل ، كما انه في الوقت نفسه يفقدها عطف العالم ، ويزيد من « غضب » العرب .

القيمة الاولى لهذا النموذج انه ينطوي على اهتزاز في الرؤية . فهو يصدر عن منطق صهيوني ، اي عنمنطق التوسع والضموالابتلاع، ولكنه في نفس الوقت يناقض هذا المنطقوينسفه، اذ يعتبر الاحتلال بمثابة انتهاك قومي ضدحقوق العرب . من هنا فهو يشير الى تحول المنطق الصهيوني الى فكرة « القومية الاسرائيلية » . وهكذا فان الصهيونية بعد اقل من مئة عام ، غدت تهتز ، واصبحت معرضة للتساقط على يد اشد معتنقيها ايمانا .

النموذج الذي بين ايدينا عبارة عن خطاب مفتوح ، نشره البروفسور يعقوب طلمون ، احد اساتذة الجامعة العبرية ، ووجهه عبر جريدة الانباء الاسرائيلية الناطقة بالعربية في القدس، الى اسرائيل غاليلي وزير الدولة في حكومة العدو ، قبل فترة .

يبدا خطابه بقوله :

« في تقرير عن خطابك في مؤتمر - هتيوص- استشهد بكلامك كالاتي (اننا لا نرى في عربالبلاد وحدة سلالية او جمهورا ذا ميزة قومية خاصة في البلاد) ، وقد قرات مثل هذا القول كذلك في صلب قرارات المؤتمر » .

ثم يشير البروفسور طلمون الى التصريحات التي يطلقها الزعماء الاسرائيليون التي لا تخفي تنكرهم لحق اصحاب البلاد الشرعيين فيوطنهم، والتي تفضح اطماعهم ونواياهم التوسعيةفيقول:

« فيهذه الايامكثيرا مايصطدم المرء بتصريحات غريبة ، محيرة ، غير معقولة ، مشيرة ، بحيث لو انه قرر الرد عليها لما استطاع القيام بشيء آخر » .

وبعد ان يؤكد البروفيسور الاسرائيلي انه لا يعاني من الفراغ ، وانه له دائما ما يشغله ، يبدأ في تحديد سبب توجهه الى وزير الدولة لشؤون الاعلام فيقول :

« .. الا ان سبب توجهي لا يكمن فقط في رغبتي في منافسة موضوع يثيرني ، ان الواقع يضعني امام خيار خطر ينطوي على ازمة ... واصطدام بين ولاءين » .

والان ما هو ولاء يعقوب طلمون الذي ... بولاء اسرائيل غاليلي . وما هي الارضية المشتركة بينهما ، واين نقاط الافتراق ؟

يعتبر يعقوب طلمون الاستاذ في الجامعة العبرية « قضية الاعتراف او عدم الاعتراف بالعرب الفلسطينيين كجمهور ذي حق في تقرير المصير هي قضية القضايا » .

هكذا يبدو وكانه قد امسك بالخيط الحقيقي (الذي لا يزال بالنسبة للعالم خيطا ... جدا ، لا يرى ، مع الاسف) سيما بعد ان ... ويقول « أن الذين يقولون بانه عنطريقالاعتراف بحقوق العرب الفلسطينيين فاننا نشكك في حقنا في ان نعيش في هذه البلاد .. » . فيكمل ... ان بدا الخيط يسقط من بين اصابعه : « ... نقيم دولة فيها انما هم يهرفون » . ويعتبر ان الحقيقه « هيعكس ذلك تماما : الاعترافبحقوق الغير يمنح طلبنا قوة اخلاقية لا تتزعزع ، بينما انكار هذه الحقوق يسلبنا كل حق اخلاقي ... الاقل في نظر امم العالم التي لا يمكن ان تقول لها ان لنا ، فوشانا من الله سبحانه وتعالى ... على جنين ونابلس » .

ان طلمون الذي يشكل الان احد وجوه حركة ثقافية خجولة ، محدودة ، ترفع شعار المعارضة الاسرائيلية ، يقع في التناقض الاكبر اذ يتصور ان هناك انفصالا بين الحق الوطني العربي في فلسطين ، وبين الغاء الكيان الذيقام في الاساس ، على التنكر لهذا الحق، انالعرب الفلسطينيين اصحاب جنين ونابلس هم اصحاب الحق الكامل في فلسطين الكاملة ، من هنافنابلس لا تختلف عن يافا ، وعكا هي جنين .

هذه الرؤية الجزئية المبتسرة ، المثقلةبالرياء المجاني ، والمثالية الكاذبة هي قتل المعارضة الاسرائيلية: انهم يدعون ان الانصراف عنالماضي والانتباه الى الحاضر والامر الواقع هي الخطوة التي يجب ان يخطوها الجميع ، غافلينومتناسين ان «اصلاح» الحاضر لا يمكن ان يتم دونتصحيح الماضي .

هذا في الوقت الذي صرح فيه طلمونلجريدة «دافار» الاسرائيلية ، بتصريحات يشتم منها انه يوشك ان يصل الى اساس القضية اذ يقول لمندوب الجريدة الاسرائيلية :

« من السخف الحديث عن المناطق لا عن البشر ، من السخف الحديث عن التاريخ ، لا عنالناس الاحياء . وليس الامر هنا مسالةخلقية مجردة ، فاذا كان هناك من يعتقد انه من الممكن في الثلث الاخير من القرن العشرين السيطرة على سكان معادين فانه يشبه ذلك الذي يتجاهل قيمهم وارادتهم . انه لا يرتكب اثما اخلاقيا فحسب ، ولكنه يرتكب اثما بحق المسؤولية السياسية ، ومن يحل كل المسالة بقوله : سيكونون اقلية قومية ونحن سنمنحهم حقوقا متساوية - يعاني كسلا في التفكير او تعصبا ضيق العقل . فاية حقوق قومية بوسعك بعد الان ان تمنح ، وان تتجاهل الحق الاول الذي هو اساس كل الاسس - وهو حق الانسان او الجمهور في تقرير مصيره وانت تغتصبه ؟ - »

ان المعارضة الاسرائيلية ، مدعية اليسار ، تؤكد رؤيتها المجتزئة القاصرة ، من خلال هذا المقطع ، حيث يفصل صاحبه فصلا مبتسرا بين احتلال ٦٧ والاغتصاب ٤٨) ، وكان العملية تدخل في حساب « الكم » فقط ، فقد وضع اصبعه على النقطة المركزية وهي «حق الانسان او الجمهور في تقرير مصيره » وكان بذلك ، يعترف مرغما ، بحق المقاومة المسلح فيالتصدي بدورها في تحرير الوطن .

ان هذا القطاع من المعارضة الاسرائيلية ، يضيع في المسالك والتفاصيل ويتعامى عناساس القضية ، فتبدو قيمته مثل قيمة من يرش العطور على مستنقع !

استمرار الذهاب في الخطا

يتساءل البروفسور طلمون ويوجه كلامه الى غاليلي : « قل لي ، دام فضلك، كيف الخروج من الورطة : انني لا اريد خذلان سياسةحكومتي امام منبر اجنبي ذي نفوذ كبير ، ارفضالظهور؟ ان هذا جبن .. هزب » اما ورطة طلمونفتتمثل في صعوبة التوفيق بين اطماع اسرائيل المعلنة وبين دعوتها المتهافتة للسلام .

وبعد ان يقر بحق اسرائيل بالاعتراف بها وبحرية الملاحة وفي « الدفاع عن مواطنيها ضد الارهاب » ، يعترف بان « الوطن القوميواقامة دولة اسرائيل كانا نتيجة تسويات بين دولكبرى فرضت على العرب فرضا » وكان ذلك لا ينطوي على التنكر لحق « الجمهور في تقرير مصيره » .

ويتساءل بعد ذلك : عندما ترفض الاعتراف بالعرب كـ « وحدة سلالية وجمهور ذي ميزة قوميةخاصة فيالبلاد » اليس منحقالفلسطينيين اطلاق لقب « المستعمرين » على السلطات الاسرائيلية ؟

ثم يؤكد ان هذه العقلية « تخدم العرب » ، وتجعل من حكام اسرائيل ضباط علاقات عامة ، مثل ما كان الشقيري بالنسبة لاسرائيل ، عندما كان يهدد اليهود بقذفهم في البحر .

ويستمر في شرحه ، اذ يشير انه منالمستهجن صدور مثل ذلك الاعلان عن لسان مواطن غير اشتراكي ينتمي لشعب - طلمون واحد منه - ناضل ضد الحلفاء وغير الحلفاء الذين انكروا على شعبه - اليهودي - حقه . ويعتبر طلمون العارض هذا الامر بانه مهزلة شيطانية .

ثم يستعرض « نضال » اليهود ضدالانكليز، عن طريق منظمات الهغناه ، في سبيل كيان قومي سياسي منفرد !

ويؤكد ان « من عادة المؤرخين ومن واجبهم ان ينظروا الى كل مشكلة من جميع جنباتها والا اصبحوا كذابين او دعاة » . الى ان يشير بان بقاء العرب ، الذين يشكلون ٤٠ بالمئة من مجموع سكان اسرائيل ، كاعداء فيحوزةاسرائيل، بجانب تكاثرهم الطبيعي المتفوق يشكل خطرا على مستقبل اسرائيل .

ويروح يتحسر : « يا سيد غاليلي ، انني اسالك بجد وعلى عجل : ماذا علي ان اقول؟ » ويرجو منه الا يتهمه بان « ايمانه الصهيوني ضعيف » والا يتشكك في اخلاصه « الصهيوني اليهودي » . ثم يعيد الى ذاكرة غاليلي بانامام العالم ايدتهم « في الماضي ليس بسبب الحق التاريخي وانما بسبب الضائقة التي كانيعانيها اليهود » . حتى يفضح الهوية الصهيونية المتعالية العنصرية اذ يقول : « لقد انتهى عصر الاستعمار ، فهل نظن لحظة ان الامم المتحدة بتركيبها الحالي كانت ستقرر آقامة دولةيهودية؟ ان الحلم الصهيوني هو اسمى المثل العليا القومية في التاريخ، الا آن تصريحاتكتصريحك، تساهم كثيرا في تزييفه وجعله شيئا كريها في نظر العالم » !

ثم يذهب الى التاريخ فيشير الى ان ايطاليا التي توحدت واستقلت سنة ١٨٦٠ اضطرت الى التنازل عن مناطق فينيسيا وسافوي . وكذلك فعلت المانيا وايطاليا . حتى يقول : « لست اعرف مثلا واحدا لحركة قومية توقفت لكونها ضربت وبلغت مبلغ الياس . علىالعكس من ذلك فان قوة الياس كبيرة ، وقد يبدو احيانا أن حركة قومية قد ضعفت واصبحت في الرمق الاخر .. الا انها تستجمع قواها ثانية فتبعث اقوى مما كانت » .

ثم يمر طلمون على « الحل الامثل » فيقول « يجب ان نسهل مهمة العرب المعتدلين (!) الذين يريدون من اعماق نفوسهم او حتىبشكل سافر أن تجبرهم الدول الكبرى - وعلينا ان لا نعمل على اذلالهم او نعرض حياتهم للاغتيال برصاص القتلة ، او عن طريق الموافقة على مؤتمر صلح دولي يكون فيه الطرفان المتنازعان محاطين بممثلي الدولتين الكبيرتين من المجابهة اللدية والتقارب البادي بينهما لخوفهما من الصين ، بدون التهاون في قضية الاستعداد العسكري لحظة واحدة » .. الى آن ينكر ان « امريكا تحتاجنا اكثر مما نحتاج اليها » ويلفت الانتباه الى هواجس الفرد الانكليزيالان بعد اكثر من خمسين سنة من التحالف دامت بين بريطانيا والصهيونيين. حتى يؤكد علىالقوه وان من « المهم ان لنا جيشا قويا وان العالم يعرف هذا ونحن .. » .

واخيرا يستشهد في كتابه المفتوح بكلمات لعالم يهودي امريكي ، قال عنه انه « الناطق بلسان اليسار الامريكي » : لا ضرورة لان تضعونا في اوضاع نكون فيهامضطرين الى الحسم بينولائنا للقيم الانسانية التيناضل من اجلها ، وبين ولائنا لاسرائيل . »

نخلص من هذا العرض الى ان هناكاتجاهات صهيونية جديدة ، تلبس لبوس الادعاء القومي، وتصدر عن منطق اخلاقي - احساني ، وهذا يؤكد ان التخطيطات الصهيونية رغم نجاحها في افتعال كيان صهيوني ، قد توقفت مرغمة على احلامها ، وبدأ « لا وعيها » في نسفمنطقها القائم على التوسع والعنصرية والسيطرة .

ثم انهناك تيارات سياسية فيداخلاسرائيل، عدا الحزب الشيوعي ، ترى في قرار مجلس الامن الحل الامثل لما تعتبره « مشكلة » . وهذا مما يزيد من خطر تنفيذ « الحل السلمي » الذي ترفضه الجماهير العربية وفي طليعتها الفلسطينيين ، وتعبر المقاومة عن هذا الرفض الجذري بتصعيد الكفاح المسلح ، والاصرارعلى تحويله الى حرب تحرير شعبية كما ان النموذج يشير الى بداية اهتزاز القاعدة الاسرائيلية من تحت قمة الحكم ، وان انفصال تلكالقاعدة امر لا يستحق الرهان عليه ، ما دامتاجتهادات تلكالمعارضة موظفة حتى الان لتعزيز ذلكالكيان، والباسه لبوسا قومية حينا واشتراكية حينا اخر .

اما بالنسبة للاختلاف بين طلمون وغاليلي، فانه ليس ثمة خلاف يذكر ، ولانهما يشترك في الايمان بالصهيونية ، والفرق بينهما ان غاليلي يريد منحها ثوبا عصريا ، بينما طلمون يصدر عن منطق سياسة القوة وغرورها . لذلك لا يبدو اي تصادم بين ولائهما ، وانما هو مجرد «عتاب» بين ولائين، يصدر عن ارضية واحدة، ويتوجهان الى افق واحد ، وان كان هذا لا يلغي تزعزع الفكرة الصهيونية وبداية انشقاقها وتوزعها .

اما نقاط الافتراق ، فهي ليست قائمة ، وكل ما في الامر ان كليهما يزايد في صهيونيته ، ويعطي الدلائل على « نقاء » ايمانه ——

المثقفون والعالم الثالث - تتمة

وكل هذه المواقف الايديولوجية شيء مشترك، وهو الرفض بالتسليم بمسؤولية الامبريالية والراسمالية ، الاساسية ، عن هذا البؤس ، وايضا رفض القبول بحقيقة ان الثورة فقط ، التي تطيح بكل البنيات الامبريالية والراسمالية قادرة على البدء في عملية الانعتاقالذاتي لشعوب العالم الثالث .

ومن بين التنوعات العديدة لايديولوجية البورجوازية الصغيرةنستطيع ان نبين : الولوع الشديد بتقديم النصائح الصالحة للحكومات الاوليغارشية في دول العالم الثالث (وكان هذه الحكومات لا تمثل مصالح اجتماعيةمرتبطة بوثوق بصيانة الوضع القائم ، اي انتقول ، البؤس) ، واعطاء الاولوية في اهتماماتهم ، للمشاكلالنفسية الاخلاقية ، الثقافية ، وحتى الدينية ، في عملية التطور (يقولون اشياء وكان الديانةالهندوسية هي العائق الرئيسي في وجه تحديث الهند . انهم لا يفهمون بان عجز البورجوازية الهندية عن القيام بعملية تحديث البلاد هو الذي يفسر في الواقع بقاء هذه القوة الدينية) ... الخ .

في دول العالم الثالث ، فان التنوعات الرئيسية من هذه الايديولوجية النموذجية للمثقفين ، هي من جهة ، الاوهام الاصلاحية والهاجس لرؤية مصدر الشر في « النظام الزراعي الاقطاعي » ، او اعتبار ان اصلاح زراعي تقوم به البورجوازية ، سيغير الوضع جذريا ، (وكان الاصلاح الزراعي الجذري لا يصطدم بمصالح الامبريالية والبورجوازية المدينية ، بقدر ما يصطدم مع الملاكين الذين يعملونتحت النظام القديم !) ومن جهة اخرى ، الميل الى الايمان بالنخبة ، الذي يفترض ان اتخاذ مجموعة صغيرة من المثقفين الشجعان المبادرة ، (وفي اسوا الاحوال ، منظمو انقلاب) يمكن ان يضع حداالكل الفوضىالقديمة.

والشيء المشترك بين هذين الشكلين هو الرغبة في الفصل الاعتباطي والجذري بين«مرحلة التحرر الوطني » وبين « مرحلة الثورة الاشتراكية » ، دون الفهم بأن الاولىتدفق حتما الى الثانية اذا كان لها ان تنجح ، لان الطبقات الاجتماعية ذات المصلحة في الثورة الاشتراكية، فقط ، تمتلك القدرة على مقاومة الامبريالية في المدى الطويل ، وعلى الاستمرار حتى النهاية في انجاز التحرر الوطني بالغاء سيطرة الراسمال الاجنبي والسوق العالمية الامبريالية ، على الاقتصاد الوطني

ان المثقفين لا يستطيعون التوصل الى وضوح حقيقي فيما يتعلق بالبؤس في العالم الثالث ، دون التزام حقيقي ، ان الوحدة بين النظرية والممارسة الثورية هي وحدة متلاحمة : من دون الممارسة الثورية من المستحيل التوصل الى فهم نظري كافي ، ومن دون النظرية الثورية ، فا نالممارسة محكوم عليها بالتخبط وبقصر النظر وعدم الفعالية ، وبالنسبة للمثقف في الدول الامبرياليةكما في دولالعالم الثالث - فان الالتزام الكامل يعني المشاركة . وليس هناك طريقة يمكن لاحد ان يحرر فيها نفسه من كونه مشارك في مسؤولية بؤس ٢٠٠٠ مليون انسان .

ويمكن ان تتراوح اشكال المشاركة هذه حسب الظروف - اي حسب مدى احتدام العملية الثورية في مراحل مختلفة ، وفي دول مختلفة . وقد سخرنا مرارا من « حاملي الحقائب (*) » (ومعظمهم كانوا من المثقفين) الذين راوا بان العمل الفوري لدعم الثورة الجزائرية ماديا هي المهمة الرئيسية للثوريين الفرنسيين خلال فترة ١٩٥٦ - ١٩٦٢ . ومن المؤكد ان المهمة الدؤوبة لبناء منظمة ثورية قادرة على التدخل بفعالية عند بروز وضع ثوري ، لها الاولوية حتى في هذه الفترة ، في فرنسا . ولكن من المؤكد ايضا ، بان مثل هذه المنظمة لا يمكن بناؤها اذا تم اختيار اعضاءها على اساس ادبي محض ، او على اساس مشاركتهم في نشاطات محض اصلاحية للطبقة العاملة (لم يكن هناك غيرهم في فرنسا في تلك الفترة) .-ان المشاركة - حتى ولو كانت غير مباشرة - في نشاطات ثورية حقيقية ، في اي مكان في العالم ، هو شرط ضروري لتشكيل الطليعة الثورية الحقيقية .

وبهذا المعنى ، ليس صدفة في الواقعان الطلائع الثورية الجديدة التي تتجمع اليوم في الدول الامبريالية ، في فرنسا وفي اليابان وفي ايطاليا، وحتى في الولايات المتحدة ، قد عرفت عمادتها بالنار من خلال التماثل الحقيقي والدفاع الشرس عن النضالات الثورية الحقيقية التي تطورت في خلال هذه السنوات الاخيرة : الثورة الكوبية والثورة الفيتنامية ، والتضامن مع حركات المقاومة في امريكااللاتينيةوفلسطين . في النهاية، فان هذا « الالتزام » بالثورات في العالم الثالث قد زاد في سرعة انبعاث النضالات الثورية في الدول الامبريالية نفسها لا في اعاقتها .

(ترجمة « الهدف »)

* خلال الحرب الجزائرية كان الجزائريون المقيمون في فرنسا يتبرعون شهريا للثورة الجزائرية ، بملايين من الفرنكات ، التي كانت تنقل في حقائب بواسطة المتعاطفين الفرنسيين ، وذلك لتجنب الاعتقال من قبل السلطات الفرنسية .

• الاهداف البعيدة المدى لوكالة الغوث

يبدو ان حقيقة اهداف وكالة الغوث الدولية قد دفنت تحت اكداس هائلة من الدعاية الملفوظة والاعلام الخادع ، وخلال عشرين سنة عملت اجهزة الوكالة ، تدعمها بعض الاقلام العربية الدعائية ، على زرع فكرة خاطئة عن اهدافها وتصويرها على انها هيئة « انسانية » تعمل على اغاثة اللاجئين الفلسطينيين وتشغيلهم . لكن اهداف الوكالة السياسية تظهر بوضوح من خلال الاعمال التي تمارسها بقصد محو الشخصية الفلسطينية وقضيتها .

ان اجهزة الوكالة على درجة كبيرة من الخداع بحيث انها تعمل على تحقيق اهدافها على مراحل وتدريجيا وبكل صمت ، مستغلة الامتيازات والحصانات والامكانات الدولية الموضوعة تحت تصرفها بحيث تكفل لها الحرية المطلقة بالعمل داخل كل دولة عربية بدون رقيب او رادع حتى ان متشلمور مديرها العام يقول امام الجمعية العمومية في الامم المتحدة بتاريخ ١٩٧٠/١٠/٣٠ « ان الوكالة ، بالنسبة لوجودها واستمرارها لمدة عشرين سنة ، اصبحت امرا واقعا » ، وايضا في باريس قال مدير التعليم العام في الوكالة امام مؤتمر عام لليونسكو ان الارقام التي اذاعتها حركة المقاومة الفلسطينية عن ضحايا القتال في عمان مبالغ فيه كثيرا ، والرقم لا يتجاوز ٤٠٠ » ! والجدير بالذكر ان هذا التصريح هو اول تصريح رسمي يطعن في حقيقة الارقام التي نشرتها المقاومة (٢٠ الفا بين قتيل وجريح) . ان هذين التصريحين يؤكدان الدور السياسي الذي تحاول ان تلعبه الوكالة .

ان لوكالة الغوث هدفان اساسيان تعمل لتحقيقهما باستمرار وهما :

■ اولا : السعي والعمل لقبول الفلسطينيين بالامر الواقع .

ان الوكالة ومن يخطط لها اعمالها واهدافها ويصرف عليها ينطلق من مفهوم هو نتيجة سياسية مدروسة ، ومن مبدأ تعمل لتحقيقه هو امكانية قبول الفلسطينيين بالامر الواقع وهو وجود اسرائيل سنة ١٩٤٨ . فالوكالة قد نجحت الى حد ما والى قبل ثلاث سنوات في طرح القضية الفلسطينية عالميا طرحا خاطئا واظهارها وكانها قضية مؤن واغاثة فقط ، لا قضية وطن اغتصب .

ففي جميع نشراتها التي تغمر العالم الغربي تركز فقط على ناحية واحدة وهي ناحية جمع الاموال ، وتتجاهل تجاهلا متعمدا اساس القضية اما في الداخل فتنفذ مخططا لئيما ، بمساندة الدول الغربية ، على ابقاء الفلسطينيين تحت وصايتها ، ومعتمدين عليها اعتمادا كليا في بعض الاحيان ، من حيث السكن والتعليم والطب والمؤن ، وكلها خدمات ليست كافية وليست صحيحة .

ان اسرائيل واصدقاءها يعملون من خلال وكالة الغوث على اساس ان العواطف والمشاعر القومية بعد سنة ١٩٤٨ سوف تخمد تدريجيا وان الفلسطينيين سوف يجري استيعابهم وتوطينهم في الدول العربية المجاورة ، وهكذا تنتهي القضية الفلسطينية بمرور الزمن .

ان هذا المخطط عملت له ولا تزال تعمل له بحماسة الدول الغربية وخاصة امريكا . فهي تعتقد ان على الفلسطينيين القبول بالامر الواقع وانه ليس من حقهم العمل لاستعادة حقوقهم المغتصبة في اراضيهم وبيوتهم حتى أن هذه الدوائر تعتقد ان اي حل يتعارض مع هذا الامر الواقع غير واقعي وغير منطقي . ومع ان المقاومة الفلسطينية والشعب الفلسطيني اظهروا بطلان هذه النظرية والمبدأ وان مرور الزمن لن يجبر الفلسطينيين على الاعتراف بالامر الواقع وان الارض الفلسطينية لا يمكن ان تدفن تحت سياسة الامر الواقع .

ان الوكالة ومن وراءها لا تريد ان تفهم ذلك وما اقدامها على اغلاق معهد سبلين والستر على جرائم اسرائيل في الارض المحتلة الا دليلا ساطعا على ذلك .

وقد ادركت الجماهير الفلسطينية ان لا جدوى ابدا من رجاء الوكالة والتمسح باعتابها بل يجب ايقافها ضمن حدود ترسمها حركة المقاومة الفلسطينية .

■ ثانيا : توطين وتأهيل اللاجئين خارج بلادهم فلسطين .

ان سياسة التوطين والتأهيل والتهجير تتماشى مع السياسة الاسرائيلية لحل المشكلة التي صنعتها سنة ١٩٤٨ حينما اقتلعت وطردت اكثر من مليون مواطن عربي من بلادهم .

فمنذ ذلك التاريخ واسرائيل تؤيد وتسعى بكل وسائلها لتوطين اللاجئين في الدول العربية المجاورة و « تاهيلهم » للانصهار في الحياة الاقتصادية للمنطقة او فتح ابواب الهجرة لهم لدول امريكا اللاتينية ، وهناك نشاط محموم في الضفة الغربية وغزة لتهجير الشباب الفلسطيني .

لقد بدات اولى تلك المحاولات سنة ١٩٤٩ من الولايات المتحدة وتبنتها « هيئة الوصاية الفلسطينية » فلقد طرح ممثل امريكا فيها (بورتر) ايفاد لجنة الى المنطقة عرفت فيما بعد باسم « لجنة دراسة الوضع الاقتصادي في الشرق الاوسط » وكانت مهمة تلك اللجنة وضع دراسة اقتصادية للتنمية في المنطقة من اجل استيعاب وتوطين الفلسطينيين فيها في اقصر فترة زمنية ممكنة ، وفعلا قدمت تلك اللجنة دراستها بسرعة مذهلة وعرفت تلك اللجنة باسم « لجنة كلاب » ، فلقد اقترحت هذه اللجنة برامج عمل للتنمية في الدول العربية بدءا بمشاريع تنمية اختبارية لتشغيل اللاجئين كمشروع « مرج نعجة في وادي الاردن » ومشروع اليرموك وقناة الغور الشرقية ومشروع مكافحة الملاريا ، ينتج عن هذه المشاريع تخفيض لوائح الاغاثة وبالتالي الانتهاء نهائيا من اغاثة اللاجئين خلال ثمانية عشر شهرا . وقد تبنت الامم المتحدة هذه المقترحات باستثناء المدة الزمنية وانشئت وكالة الغوث الدولية في ١٩٥٠/١٢/٢ لتحقيق هذه الاهداف ، وفعلا خصصت لها ميزانية ٣٠ مليون دولار للصرف على المشاريع التي تقترحها دول المنطقة لتاهيل وتوطين اللاجئين وبالتالي شطبهم من قوائم الاغاثة .

وفي ١٩٥٢/١/٢٦ خصصت الجمعية العمومية مبلغ ٢٠٠ مليون دولار للوكالة لصرفها على برامج الاستيطان ، ولكن معارضة الشعب الفلسطيني احبطت هذه المشاريع ولم تصرف الوكالة سوى ٥٪ من اصل هذا المبلغ ولم يعرف مصير المبلغ المتبقي ، بعد فشل هذه المشاريع بدات الوكالة تشكو العجز المالي وتردد تلك الاكذوبة سنويا لاجبار الدول العربية على السماح للوكالة باجراء عمليات احصاء وتخفيف الخدمات .

ان كذبة العجز المالي ما هي في الحقيقة الا ورقة ضغط سياسية تستعملها امريكا لتنفيذ مخططها بواسطة الوكالة الان وعلى مدى سنين طويلة وتدريجيا بعدما فشلت في تنفيذه مرة واحدة .

والواقع يثبت لنا على ان الوكالة طالما لا تجد ولم تجد للان قوة فعلية رادعة وتقف لها بالمرصاد تحاسبها على ما تفعل وتحبط مشاريعها المشبوهة سوف تستمر بهذا المخطط التصفوي لمدة سنين طويلة قادمة ، ولن توقف خدماتها كما تدعي ، بل ستحاول تخفيفها وستنجح في ذلك لان هذا الموضوع لم يعالج معالجة فعلية من قبل المعنيين .

لقد اظهرت التجارب ان المذكرات والاحتجاجات لا تجدي مع الوكالة ابدا ، والاحداث برهنت على ان الوكالة تنحني مؤقتا امام المعارضة ولكنها تستغل اصغر فرصة وتعود تنفذ مخططاتها وبشراسة اكثر .